مقتطفات من كتاب

هتلر في الميزان

عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات

مصطفى علي سيد

(أبو مهاب)

https://cap-khir.com

sedratalmontha@gmail.com

في هذا الكتاب ما أنا بقاض، ولا يسرني أن أكونه.

لأنني لا أحسن التسوية بين الخصمين في قضية الطغيان والحرية الإنسانية. وأحمد الله أنني خصم قديم فيها منذ نيف وثلاثين سنة؛ أي في السن التي يراع فيها بعض الناس بمظاهر السطوة والاقتحام، والتي يخيل إليهم فيها أن الشجاعة والبغي شيء واحد، وأن العزة هي إذلال الآخرين، وأن بُعد الذكر هو حسبُ الإنسان من المجد، ولو كان ذِكرًا بالفتك والشر والإيذاء.

فمنذ نيف وثلاثين سنة كان لي شرف الخصومة في هذه القضية الخالدة، وكنت أبحث في أعماق نفسي فلا أحس فيها غير المقت والازدراء لأولئك الذين سمَّوْهم عظماء التاريخ لأنهم طلبوا المجد والشهرة من طريق الغزوات والفتوح، وقاسوا عظمتهم بمقدار احتقارهم «للإنسان».

... نابليون رجل من مجانين المطامع، أولئك الذين تملك عليهم الأثرة عقولهم فلا تدع فيها موضعًا لغير أطماعهم وشهواتهم. لا يدور بخلَدهم إحساس لغيرهم أو أمل غير أملهم، فلا يحسبون أن في الوجود أرواحًا تجِب صيانتها غير أرواحهم، أو أن لسواهم أملًا يحرص عليه كما أن لهم أماني وآمالًا.

وقد وصل «باجي سقا» وهو ابن سقاء قاطع طريق إلى كرسي الإمارة في بلاد الأفغان، ووصل قاطع طريق آخر يجهل القراءة والكتابة إلى رئاسة الدولة في بلاد المكسيك وهو فرانسيسكو بانشو (١٨٧٧–١٩٢٣) الذي اشتهر باسم فيفافيلا[1] وشغل العالم الجديد في أيامه عن كل بطل وكل كوكب من كواكب الشهرة السياسية أو الفنية.

وصاحب الشخصية المزدوجة يتناقض في تفكيره وشعوره كأنما تصدر أفكاره وأحاسيسه من مصدرين أو من شخصين مختلفين؛ فهو حينًا سديد الرأي وحينًا شديد الخطل، وهو تارة وديعٌ لينٌ وتارة شرس عنيد، وساعةً يُحجِم ويتردد وساعة أخرى يهجم ويتعسف، وقد يعالج الأمور علاج الحالم المؤمن ثم لا يلبث أن يعالجها علاج المتشكك الذي لا يقنع بغير الواقع الملموس.

وقد أبى هتلر أن يصافح الأوائل السابقين من الزنوج في الألعاب الرياضية العالمية وهم ضيوف بلاده، فإذا كانت ألعابهم لا ترضيه وهي ألعاب الرياضيين في جميع الأمم البيضاء أو السمراء فهل ترضيه موسيقاهم وهي شيء يجوز أن يختص بالزنوج دون سائر الشعوب؟

وعلى هذا النمط يصحو ذهن هتلر وصحوه مقسَّم بين العِوَج والاستقامة، وبين العلة والعافية، فلن يفهم أبدًا على وجه الصحة وحدها في حال من الأحوال.

كان هذا الرجل يسبح في لُجَّة من الدم والناس تنظر إليه فلا يعنيهم من أمره إلا أن يشاهدوا براعته في السباحة.

كان يهدم المدن ويدمِّر الأقاليم ويدكُّ الممالك وهم ينظرون من كل ذلك إلى خبرته بصف المربعات العسكرية، ودربته على تنظيم المواقع وإطلاق النيران.

لقد مضى زمان تلك العظمة، وحق على الكتاب في هذا العصر أن يُعوِّدوا الناس إكبار العظمة التي يجمل بهم إكبارها ...

هذا، ونابليون هو نابليون.

والفرق بينه وبين طغاة الحرب الحاضرة كالفرق بين المارد والأقزام.

والخطر منه وهو في حوزة التاريخ ممتنع كل الامتناع، إلا أن يكون خطر القدوة والإيحاء.

فاليوم والخطر قريب، والعالم قد مضى عليه مائة ونيف وعشرون سنة بعد حروب نابليون، والناس يحق لهم أن يربحوا ولا يخسروا من تجارب هذه السنين، لا يطيب لي أن أقضي اليوم حيث خاصمت بالأمس، ولا أرى من واجب الكاتب أن يحكم ويقول: هذه أسباب الحكم، بل أرى واجبه الذي لا واجب له غيره أن يخاصم ويقول: هذه أسباب الخصومة. وأن يتحرى الصدق في خصومته والاستقراء الصحيح في بيانه؛ لأن الخصم الصادق في قضية الطغيان والحرية الإنسانية أعدل من القاضي الذي لا يميل هنا أو هناك في هذه القضية.

والخصومة الصادقة هي التي أَعَدَّ بها القارئ في هذه الصفحات.

وعلينا أن نذكر أن الكفاءة الضرورية للوصول إلى السيطرة لا تقاس بحجم الدولة التي يسيطر عليها الرجل؛ فالروسيا — مثلًا — عدتها وعدة البلاد الخاضعة لها زهاء مائة وثمانين مليونًا من النفوس الآدمية، ولا يلزم مع هذا أن يكون ستالين أقدر من مصطفى كمال بضع عشرة مرة ... لأن الترك أقل عددًا من الروس بهذا المقدار.

بل يتفق كثيرًا أن يكون الوصول إلى السيطرة في البلاد الصغيرة أصعب من الوصول إليها في الدول الضخام، كما يتفق كثيرًا أن تكون قيادة الزورق الصغير أصعب من قيادة السفن «الراسيات في البحر كالأعلام».

وتربية الشعب على المفاجآت المسرحية تعوِّده أن يترقبها ويتحفز لها ولا يطيق الفراغ منها، وإلا فترت الحَمِيَّةُ وخمدت نار الزعامة التي هي قوامها وعلة وجودها.

وهكذا دار الدولاب الجهنمي دورته المرهوبة، ولم يكن عند هتلر إلا لعبة أخاذة يستطيبها خيال أكتع لم يخلق للعظمة الفنية، وطبيعة جارمة خوت من الرحم الإنساني، وعقل مخبول يومض فيه الذكاء، ولكنه ذكاء في قبضة شيطان.

إنما المعجزة أن تعلِّم المرء الكرامة فلا يهدر حقوقه ولا يهدر حقوق غيره، وإنما الرجل الكريم كما قلنا في كتابنا عن سعد زغلول من «يسوءه أن يتعرض الآخرون لغضاضة مهينة كما يسوءه أن يتعرض هو لتلك الغضاضة، ويعاف الذل حيث كان ولو لم يمسسه في كبريائه، وذلك هو الفرق بين الكرامة المحمودة والغطرسة الذميمة؛ فإن الغطرسة الذميمة هي التي تستريح إلى إذلال الآخرين ولا تغار على كرامة إنسان، وهي التي لا تميز بين الكبرياء بحق والكبرياء بباطل، ولا تلوم الناس لأنهم اعتدوا عليها مبطلين بل تلومهم لأنهم عرفوا لأنفسهم كرامة ولو كانت صادقة وعلى صواب؛ ولهذا يستخذي المتغطرس حين تصدمه القوة من سواه، ولا يزداد الكريم إلا انتصارًا لكرامته حين يمسها من يتطاول عليه».

وهكذا «معجزات» هتلر في شتى مراميها لا تستمد قوتها من رفيع الصفات كما تستمدها من وضيع الغرائز والشهوات، ولا تعتمد على الاقتحام كما تعتمد على الاتباع والانسياق، ولا تروعك بالبطولة كما تروعك بالمداورة والاستغلال، ولا تروض الظروف بل تركبها وهي ريضة ذلول، ولا يرتفع بواحدة منها إلى مرتبة النوادر الأعلين بل يظل حيث كان في زمرة الأواسط وأبناء المصادفات.

إن الخطباء الحماسيين جميعًا لَيغضبون، وإنهم جميعًا ليحركون الغضب في الجماهير.

إلا أن الفرق بين غضب وغضب لَفرق عظيم، وإن الاختلاف بين حماسة وحماسة ليفوق الاختلاف بين القوة والمرض، وبين الجلال والهوان.

رأينا سعد زغلول وهو غاضب في خطبه فرأينا غضبًا كأنه السيف يصول به الفارس على قِرنه، ويعرف كيف يصول.

ورأينا هتلر وهو غاضب في خطبه فماذا رأينا؟ رأينا غضبًا كأنه الدُّمَّلُ المفتوح ينفِّس عن ضغينة كامنة كأنها القيح المحبوس، فهو فرصة للألم والتذاذ الألم في وقت واحد، وهو علاج للتنفيس عن داء، وليس بالسيف في أيدي الأقوياء.

هو نوبة مصروع وليس بوثبة صارع.

وهو منظر تزوَرُّ منه العيون، وليس بمنظر تَوَدُّ العيون أن تمتلئ منه.

وهو رقصة الهمجي في حومة الدَّمِ أمام أوثان النقمة والتشفي، وليس برقصة الفارس في حومة البرجاس.

يقول هتلر للعالم:

أعطوني حرية الإنسان. أعطوني حقوق الإنسان. أعطوني ضمان الرأي والروح. أعطوني تراث الماضي والرجاء في المستقبل. أعطوني حقوق الفرد في الدولة ألغيها، وأعطوني الدول الصغيرة أدوسها، والدول الكبيرة أمزقها ... وقواعد الطمأنينة في الأرض كلها أزعزعها وألقي الفزع والفوضى والمصير المجهول في مكانها. أعطوني كل ما تعزُّون ولا تسألوني ماذا تأخذون! لأنني آخذ ولا أعطي، آخذ الحرية التي عندكم ولا أعطي القوة التي عندي، أو آخذ رجاءكم في الحرية ولا أعطي رجاءكم في القوة؛ إذ هي لي وحدي لا أعطيها أحدًا حتى بين الألمان خلاصة بني الإنسان، فكيف يُعطاها غيرهم من المخلوقين للطاعة والهوان؟

ثم تسري ظلمات هذه الأخلاق المنكوسة إلى دخائل العقول فتغشِّي عليها بظلمات فوق ظلمات؛ لأن العقل الذي يتعوَّد أن يرى للمسألة وجهًا واحدًا لا وجه غيره يتعطل فيه التفكير ولا يفهم حجة الآخرين، ثم يتعود أن يتلقى الأفكار كما تصاغ له لا كما يصوغها هو بعد تقليبها على جميع الفروض والاحتمالات. ولا يقتصر هذا العيب الفادح على المحكومين، بل يسبقهم إلى الحاكمين الذين لا يسمعون اعتراضًا ولا يصبرون على اعتراض. ومن جرائر ذلك ولا شك أنهم يتعنتون فلا يديرون أسماعهم إلى حجج خصومهم، ولا يعرفون من حل المشكلات إلا أن يقمعوا المعارضين في أوطانهم ويشهروا السلاح على سائر الأوطان.

قال الإمام الشيخ محمد عبده: «لا يصلح الشرق إلا بمستبد عادل.»

نعم. ولم يفسد الشرق إلا بالمستبدين الظالمين، ولم ينهض نهضته المرجوَّةَ في القرن العشرين إلا بنفحة من الحرية الديمقراطية سَرَت إليه. وقد جرب حَظَّهُ في الاستبداد طويلًا فليجرب حظه في الحرية، وليجعلها اليوم قضيته الكبرى، فهي في الحق قضيته التي ينتصر فيها فينجو من ظلم أبنائه وظلم الغرباء.

أما العبرة لنا — نحن المصريين — من موضوع هذا الكتاب الأول وهو تقويم هتلر ووزن مزاياه بالميزان الوحيد الفارق بين الإنسانية والوحشية، فهي اجتناب الغلو في استعظام أعماله وأعمال أمثاله؛ لأن استعظام القدرة على مثل تلك الأعمال قد يسوق إلى الإعجاب الخاطئ، والإعجاب الخاطئ قد يسوق إلى قَبول ما يستنكر ولا يجمل بضمائر الأحرار.

ولا بد للحرية من مصاعب، ولا بد لها من ثمن غالٍ.

فليس لإنسان أن يجمع المزيتين، وأن يكون مستبدًّا وحرًّا في نزعة واحدة، ولا أن يأكل حلاوة الحرية بغير نار.

وإن حبوط هذه التجربة النازية لهو أصدق نذير بحبوط الدولة النازية وإن تَطُلِ الأيام ... ولعلها لا تطول.

أبَى الله لهذا العالم الذي أعيى الفاتحين من جبابرة التاريخ أن تحكمه عصابة من المغامرين والأفَّاقين، وأن يرتد إلى جاهلية جهلاء لا حرمات فيها ولا حقوق.

ذلك ما لا يكون، وهيهات أن يكون.

فلا أحلامهم مفلحة، ولا آمال الإنسانية مخفقة، ولا كلمة الحرية منسية، ولا قضيتها في موازين القدر دون قضية الهمجية.

وكل آتٍ قريب.

عصرنا هذا هو عصر الزعماء غير مدافَعٍ بين جميع عصور التاريخ.

فقد شهدنا فيه كل ضرب من ضروب الزعامة على اختلاف شروطها ومقوماتها، وشهدنا فيه كل ضرب من ضروب الحركات الشعبية وكل جماعة من الجماعات التي تدين بالطاعة لزعيم.

شهدنا زعماء من طراز سعد زغلول ومصطفى كمال يقودون الأتباع بهيبة «الشخصية» الآمرة وطلعة السيد المطاع.

وشهدنا زعماء من طراز غاندي تحف بهم هالة القداسة ويأتمُّ بهم الناس كما يأتمُّون بناسك المحراب.

وشهدنا زعماء من طراز «دي فاليرا» يعيدون عهد القديسين المقاتلين بالصبر والثقة والمفاداة.

وشهدنا زعماء من طراز موسوليني يسري منهم النشاط الحيوي إلى أتباعهم كما تسري الحرارة في الأسلاك.

وشهدنا زعماء من طراز لنين يقنعون من يقنعونهم بقوة الفكر المتعصب والمنطق المنحرف واللَّدَد العنيف.

وشهدنا زعماء من طراز شيان كاي شيك يقررون زعامتهم بصرامة العزم وحصافة الذهن ومثابرة الصبر والعناد.

وشهدنا زعماء كابن السعود يجمعون أكبر ما يجتمع في أبناء قومهم من الصفات، فيفهم الناس أن ابن السعود أكبر العرب لأنه أكبر عربي في طبائع الأمة العربية كما نعرفها الآن.

وكل هؤلاء الزعماء يراهم المتفرِّسون المتوسِّمون فلا يحارون في أسرار زعامتهم، ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا: لماذا كان هؤلاء زعماء؟ لأن الإيمان باستحقاق سعد زغلول ومصطفى كمال وغاندي ودي فاليرا وموسوليني ولنين وشيان كاي شيك وابن السعود لمنزلة الزعامة في أقوامهم لهو أسهل كثيرًا من الشك في ذلك الاستحقاق.

فآخر ما يخطر على البال أن يرى المتفرس المتوسم رجلًا كسعد زغلول أو غاندي على بُعد ما بينهما من التفاوت، ثم يخرج سائلًا: لا أدري واللهِ ما الذي جعل هذا من الزعماء؟ إنه لا يسأل هذا السؤال لأن حيرة الشك هنا لا تحيك له في خاطر.

أما الذين رأوا هتلر — وقد رآه أكثرنا في الصور المتحركة — فكلهم على ما نعتقد يسألون: أين سر الزعامة فيه؟ لماذا يستهوي الجماهير؟ وأي شيء يعوضه عن هيبة الزعماء؟

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355